

شهرُ رمضانَ في ضيافةِ الرَّحْمَنِ



وَهُوَ خصائصُ فِي الْزَّمَانِ وَفِي الْمَكَانِ، وَنَحْنُ ضَيْوَفُهُ فِي هَذَا الزَّمَانِ كُلَّهُ، فَإِذَا عَنِدَنَا أَوْجَدَنَا، دَعَانَا أَنْ نُعِيشَ الضَّيَافَةَ فِي نِعْمَتِهِ الَّتِي تَفِيظُ عَلَيْنَا صَبَاحًاً وَمَسَاءً، وَلَكِنَّهُمْ ضَيَافَةُ شَهْرِ رَمَضَانَ هِيَ ضَيَافَةُ خَاصَّةٍ، يَخْتَصُّهُ فِيهَا عِبَادَةُ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَإِنَّهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَتْقَاءُ مِنَ الدَّارِ.

«شَهْرٌ دُعِيْتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَافَةِ الرَّحْمَنِ، وَجَعَلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَتِهِ». فَعَنِدَنَا تَدْخُلُونَ الشَّهْرِ، تَدْخُلُونَهُ وَلَكُمْ كُلُّ كَرَامَةٍ فِي إِيمَانِكُمْ وَإِسْلَامِكُمْ وَتَقْوَاهُمْ وَعَمَلَكُمُ الصَّالِحَاتِ.

فَانْظُرُوا كَيْفَ هِيَ هَذِهِ الْكَرَامَةُ، وَكَيْفَ هِيَ هَذِهِ الرَّحْمَةُ، فَأَنْتُ تَتَنَفَّسُ، لَأَنَّهُ ضَرُورَةُ حَيَاكَ تَقْتَصِيُّ أَنْ تَتَنَفَّسُ، وَلَكِنَّكَ تَتَنَفَّسُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، لِتَهْبِطَ أَنفَاسَكَ أَوْ تَصْعُدَ، فَإِنَّ «أَنفَاسَكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ»، فَأَنْتَ تَسْبِحُ، وَأَنفَاسَكَ أَيْضًا تَسْبِحُ، وَذَلِكَ عَنِدَمَا يَسْبِحُ عَقْلُكَ، وَعَنِدَمَا يَسْبِحُ قَلْبُكَ وَمَشَاكِيرَكَ وَعَيْنَاكَ فِي الْكَوْنِ، وَعَنِدَمَا يَسْبِحُ أَذْنَاكَ وَهِيَ تَسْمَعُ فَرَحَ الْأَشْجَارِ وَالشَّلَالَاتِ وَالأنْهَارِ وَالطَّيْبَورِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْمُوسِيقِيِّ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي جَعَلَهَا فِي هَذَا الْكَوْنِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَدْخُلَ الْفَرَحَ فِي قَلْبِكَ، مُوسِيقِيَّ لَا إِشْكَالَ فِيهَا،

لأنّها الموسيقى الإلهيّة التي لم تلوّث بغيرائز البشر ولا المعاني الأخرى.

«ونوم كُم فيه عبادة»، وأنتم إذ تنامون لترتاحوا، فإنّه يجعل نومكم عبادة، لأنّ الإنسان الذي يشغل نفسه بعبادة الله، فإنّ نومه يكون عبادة، فالنوم يقوى على العبادة ويتجدد نشاطه، ولذلك، فإنّ نومه هو نوم عبادي في معناه، وفي منطقة اللاشعور التي يخرج فيها الإنسان أثناء نومه من دائرة الحس، ليعيش عالماً جديداً يلتقي فيه الذّات، وينفتح على الأكون، ويختصر فيه المسافات.

«و عمل كُم فيه مقبول، و دعاؤكُم فيه مستجاب». هذا هو جوّ رمضان، فماذا نصنع بهذا الجوّ؟! وكيف نتحرّك فيه؟!